

على قبر زوجها

للأستاذ محمود الخفيف

صَلَّتْ لَدَيْ أَحْجَارِهِ خَاشِعَةً يَا قُدْسَ هَذِي الصَّلَاةِ
 اللَّهُ لِلزَّائِرَةِ الْجَازِعَةِ كَمْ هَذَهْدَتْهَا يَدَا
 تَطُوفُ فِي تَطَرَّتِهَا الضَّارِعَةِ بِنَفْسِهَا كُلِّ طُيُوفِ الْحَيَاةِ
 وَالصَّمْتُ فِي وَقْفَتِهَا الرَّائِعَةِ يَا عَيْنُ لَا يَبْلُغُ نُطْقُ مَدَاةِ |

كَمْ يَسْحَرُ الْأَنْفُسَ هَذَا الْجَمَانُ بَيْنَ الضُّحَى وَالْحَزَنِ
 كَأَنَّهَا تُبْرِزُ تِلْكَ الظَّلَالَانَ مِنْ سِرِّهِ مَا كُنَّا
 وَالْمَوْتُ يُبَلِّغُنِي مِنْ سَمَاتِ الْجَلَالَانَ مَا عَلِقَ الْقَلْبُ بِهِ وَانْتَبَنَ
 مَا كَانَ إِلَّا لِلصَّبِيِّ وَالذَّلَالَانَ وَالْحُبَّ وَالزَّيْنَةَ هَذَا الْبَدَنُ |

وَأَهَا لِهَذَا التَّلَهُمِ الْقَادِرِ السَّحْرُ فِي رِيشتِهِ |
 لَوْ طُنْتُ بِالْوَاقِعِ لَا أَخْطِئُ مَا زَادَ عَنْ صُورَتِهِ
 لَا يَبْتَنِي عَنْ سِجْرِهَا نَاطِرِي إِلَّا هَذَا قَلْبِي إِلَى رُؤْيَتِهِ |
 كَمْ تَلِدُ الْأَوْهَامَ لِشَاعِرٍ فِي مَسْحَةِ الْفَنِّ وَفِي لَمَحَتِهِ |

وَجُومُ هَذِي النَّادَةِ الْمَطْرُقَةِ كَمْ رَفَّ قَلْبِي لَهُ
 النَّحْ فِي هَلْفَةِ مُوبِقَةِ تَرْمِيمٍ لِي هَوَاهُ
 فِي شَفَقَتِهَا لَوْعَةُ مُخْرِقَةِ مِنْ فَادِحٍ مَا جَزَعَتْ قَبْلَهُ
 مُسِكَةً إِيَّاهَا مُطْبِقَةَ فِي مَوْقِفٍ مَا إِنْ رَأَتْ مِثْلَهُ |

يَا رَحْمَتَا لِلزَّوْجَةِ النَّاسِكِ تَأَسَى عَلَى إِلْفِهَا
 ذِكْرَانَهَا عَيْشَ الْهَوَى الزَّائِلِ يَزِيدُ فِي لَهْفِهَا
 وَالْوَجْدُ فِي هَيْكَلِهَا النَّاسِكِ تَحْمِلُهُ ضَعْفًا عَلَى ضَعْفِهَا
 كَمْ عِنْدَ هَذَا الْأَثَرِ الْمَائِلِ تَبْتَعُ الْوَحْشَةَ مِنْ حَوْفِهَا |

إِلَّا تُرِقَ دَمْعًا عَلَى قَبْرِهِ قَلْبَهَا دَائِعُ
 كَمْ حَاوَلَ الدَّمْعَ فَلَمْ يَجْرِهِ مِنْ فَرْطِهِ جَارِعُ
 مَا يُشْبَهُ الصَّبْرَ عَلَى تَعْرِهِ وَالْهَمُّ فِي أَحْشَائِهِ لِذِعُ |
 لَوْ بَاحَ بِالْمَكُونِ مِنْ سِرِّهِ مَا تَلَّكَ الدَّمْعَ لَهُ سَائِعُ |



قَدْ خَتَمَ الْمَوْتُ عَلَى حُبِّهِ فَتَا لَهُ مِنْ فَنَاءِ
 يَا وَجْهَهَا مَا إِنْ تَبَدَّتْ بِهِ إِلَّا مَعَانِي الْوَفَاءِ
 يَا صِدْقَ هَذَا الْحُبِّ فِي هُدْبِهِ يَا رَوْعَةَ الْوَجْدِ بِهِ وَالْوَلَاءِ |
 أَحْسِبُ هَذَا الْقَلْبَ فِي وَثْبِهِ يَخْفِقُ لِأَيِّ الْأَرْضِ بَلِّ فِي الدَّيَاءِ |

يَمْرَازُهَا فِي الْأَرْضِ هَذَا الْأَثَرُ نَعْسَى لَهُ زَائِرَتُهُ
 يَا حُمْرَةَ مِنْ تَحْتِ هَذَا الْحَبْرَةِ طَسَّاتٌ بِهَا نَاطِرَتُهُ
 يَا وَطْرًا مَا مِثْلُهُ مِنْ وَطْرِ نَحْيًا عَلَيْهِ الزَّوْجَةُ الدَّاكِرَةُ
 أَيْ لَهَا مِنْ دُونِهِ مُصْطَبِرَتُهُ فِي عَيْشَةٍ بَاتَتْ بِهَا سَادِرَتُهُ |

ذَكَرْنَا أَن بَهَذَا التَّرَابِ حُطَامَ أَوْصَالِهِ
كَمْ تَصِلُ الْقَلْبَ بِهَذَا التِّيَابِ وَصُمُّ أَطْلَالِهِ
بُطْنِي هَذَا الَّذِي كَرُّتَرَحِ التَّدَابِ فِي قَدْسِهَا السُّتَيْلِ الْوَالِدِ
مَنْ قَاتَهُ فِي الْعَيْشِ عَذِبُ الشَّرَابِ يَعْيشُ بِالْوَهْمِ عَلَى آلِهِ

أَتَى لَهَا مِنْ دُونِهِ مَوْتٌ يَوْمًا بَهَذِي الدُّنْيِ
مَا إِنْ لَهَا سُؤْلٌ وَلَا تَأْمَلُ بَعْدَ ذُبُولِ النُّنْيِ
هَيْهَاتَ يَنْفَى حُبَّهَا الْأَوَّلُ أَيْ هَوَى يَنْسَخُ هَذَا السَّنَا؟
مَا حَمَلَ الْقَلْبُ وَمَا يَحْمِلُ يَرِيحُهُ لِلْعَيْنِ هَذَا الضَّنْيِ

يَا قِطْعَةَ مِنْهُ بِهَذَا الْوُجُودِ هَلْ دُونَهُ مِنْ أَمَلٍ؟
تَرَفٌ فِي مَرَاهِ بِيضِ الْمُهْوَدِ وَمَا انطَوَى مِنْ جَدَلٍ
يَا لَمَنَّةَ الْمَاضِي وَرَمَزَ الْخُلُودِ وَالرُّنْجِي فِي عَيْشِهِ الْمُقْتَبَلِ
بَأَيِّ سُؤْلِ أُمَّهُ لَا تَجُودُ أَيْ عَنَاهُ فِيهِ لَا يَحْتَمَلُ؟

يَا لَأَعْبَابِ بِالزَّهْرِ فِي يَوْمِهِ لَمْ يَذِرْ غَيْرَ الزَّهْرِ
لَمْ يَذِرْ بَعْدَ الشُّوكِ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ يَلْقَى وَخَزَّ الْإِبْرَ
فِي شُغْلِ بِالزَّهْرِ عَنِ أُمَّهِ وَعَنْ دَوَاعِي وَجَدِهَا بِالصَّفْرِ
وَقِيَّتَ مَا يَحْبَبُ مِنْ لَوْمِهِ دَهْرٌ كَفَى مِنْ لَوْمِهِ مَا ظَهَرَ

يَا حَالِمًا مَا أَبْقَطْتَهُ الْخِيَاءُ يَا لَاهِيًا لَا يَبِي
يَرِيدُ مَعْنَى بَيْتِهِ أَنْ أَرَاهُ فِي ذَلِكَ التَّوَضُّعِ
غَدًا بِهَذَا التَّقْرِيبِ يَسْكِي أَبَاهُ يَسْتَقِي تَرَابَ الْقَبْرِ بِالْأَدْمَعِ
وَيُوجِعُ الْقَلْبَ حَدِيثُ الرُّوَاهِ عَنْ ذَاهِبٍ وَتَى وَلَمْ يَرْجِعِ

لَا تَحْبِسِي الدَّمْعَ عَلَى قَبْرِهِ أَتَيْهَا ابْتِجَارَعَهُ
عِظَامُهُ تَهْمُرُ إِلَى قَطْرِهِ طَوْفِي بِهَا دَامِعَهُ
تَوَدُّ لَوْ تَقْضَى لَدِي ذِكْرِهِ جُمُوعُهَا طَائِعَةٌ هَامِعَهُ
فَيَغْلِبُ الدَّمْعُ عَلَى أَمْرِهِ وَالنَّارُ فِي مُهْجَتِهَا لِأَذَعَهُ

الفجيف

من برج بابل

قرأت في إحدى رسائل الأدب هذه النادرة اللطيفة :
« أهدى إلى ملك الهند ثياب وحلى ، فدعا بامراتين له وخير
أحظاها عنده بين اللباس والحلية . وكان وزيره حاضراً ،
فنظرت المرأة إليه كالستشيرة له ، فغمزها باللباس فغضبتا
بمينه ، فاحظه الملك . فاخترت المحطية الحلية لثلاثا يظن
للغمزة . ومكث الوزير أربعين سنة كسراً عينه ، لكي تقر
تلك في نفس الملك ، وليظن أنها عادة أو خلقة لازمة .
وصارت الثياب للأخرى » . قد يلتمس العذر لتلك الوزير
السكين يخوفه من غضب الملك ويطشه وحرصه على منصبه .
ولكن ما عذر من يلزم النفس طائماً مختاراً حركات وإشارات
ونبرات واتصال صفات دخيلة على الطبع الأصيل ، فتقلب
الفتاة أو الشاب إلى قرد يقلد أو غراب يحاكي الطاووس !
إن أشد ما يندفع المرء نفسه أن يتكلف ما يشذ
عن طبعه ، ويجرده من شخصيته التي تميزه من غيره .
إنما يدل ذلك على احتقار المرء نفسه واعتبارها من التفاهة
بمحيط تلقى وجودها وتستعير غيرها . وما عرف زمن كهذا
العصر البيكانيكي الذي كثر من يخرجون فيه على غرار واحد
كما تخرج الآلة صنوف الألوان والأنماط من متشابه المنتجات .
ولعل مراجع هذه الظاهرة « الآلة السينمائية » أيضاً ! فإن
ما يزينه المرحون والدعاة للمهاجرات والمهاجرات أغرى فتياتنا
وشبابنا بمحاكاة ما يصدر عن هذه الشخص من حركة ترى
أو لهجة تسمع . ولقد أصبح المثل الأعلى اليوم للفتاة والفتى
بطلاً موهوماً أو نجمة لا سماء لها . وأضحى الجميع على إلام
دقيق بحياة المثلات والمثليين مما لم يظفر به درس بطل من
أبطال التاريخ ورجال الإنسانية . إن هذه الفطرة السليمة
البيسيطة التي تتجلى في حركات أخواتنا الريفيات لما يحملنا
على الميل إليهن والإعجاب بخلالهن الكريمة النقية .
فكما تزهر في ربوعهن الناضرة الوردة والوردة ، وشتان
ما بينهما من نسق ورواء وشداء ، أو الشجرة والشجرة ،
وشتان ما بينهما من ثمر وجنى ؛ كذلك ترى الفتاة والفتاة ،
وشتان ما بينهما من سناء وسنا . ماري نسيم